

تفسير البحر المحيط

@ 432 أن قوله { وَأَقِيمُوا } التفات من الغيبة إلى الخطاب ويحسنه الخطاب في

منكم . وقال الزمخشري : { وَإِذْ أَخَذْنَا مَعطوف على { أَطِيعُوا اللَّهَ }
{ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ } وليس ببعيد أن يقع بين المعطوف والمعطوف عليه . فاصل . وإن
طال لأن حق المعطوف أن يكون غير المعطوف عليه وكررت طاعة الرسول توكيداً لوجوبها انتهى

. .

وقرأ الجمهور { لَا تَحْسَبِينَ } بقاء الخطاب والتقدير ، { لَا تَحْسَبِينَ } أيها
المخاطب ولا يندرج فيه الرسول ، وقالوا : هو خطاب للرسول وليس بجيد لأن مثل هذا الحسان
لا يتصور وقوعه فيه عليه السلام . وقرأ حمزة وابن عامر لا يحسن بالياء للغيبة ،
والتقدير لا يحسن حاسب ، والرسول لا يندرج في حاسب وقالوا : يكون ضمير الفاعل للرسول
لتقدم ذكره في { وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ } قاله أبو علي والزمخشري وليس بجيد لما
ذكرناه في قراءة التاء . وقال النحاس : ما علمت أحداً من أهل العربية بصرياً ولا كوفياً
إلا وهو يخطئه قراءة حمزة ، فمنهم من يقول : هي لحن لأنه لم يأت إلا بمفعول واحد ليحسن
، وممن قال هذا أبو حاتم انتهى . وقال الفرّاء : هو ضعيف وأجازه على حذف المفعول
الثاني وهو قول البصريين تقديره أنفسهم . و { مُعْجَزِينَ } المفعول الثاني . .
وقال علي بن سليمان : { الَّذِينَ كَفَرُوا } في موضع نصب قال : ويكون المعنى ولا
يحسن الكافر { الَّذِينَ كَفَرُوا } مُعْجَزِينَ فِي الْأَرْضِ . وقال الكوفيون : {
مُعْجَزِينَ } المفعول الأول . و { فِي الْأَرْضِ } الثاني قيل : وهو خطأ وذلك لأن ظاهر
في { الْأَرْضِ } تعلقه بمعجزين ، فلا يكون مفعولاً ثانياً . وخرج الزمخشري ذلك متبعاً قول
الكوفيين . فقال { مُعْجَزِينَ فِي الْأَرْضِ } هما المفعولان والمعنى لا يحسن الذين
كفروا أحداً يعجزا في الأرض حتى يطمعوا لهم في مثل ذلك ، وهذا معنى قوي جيد انتهى .
وقال أيضاً : يكون الأصل : لا يحسنهم { الَّذِينَ كَفَرُوا } مُعْجَزِينَ } ثم حذف
الضمير الذي هو المفعول الأول ، وكان الذي سوغ ذلك أن الفاعل والمفعولين لما كانت
كالشيء الواحد اقتنع بذكر اثنين عن ذكر الثالث انتهى . وقد رددنا هذا التخريج في آل
عمران في قوله { لَا * يَحْسَبِينَ } الَّذِينَ * يَفْرَحُونَ بِمَا أْتَوْا } في قراءة
من قرأ بياء الغيبة ، وجعل الفاعل { الَّذِينَ يَفْرَحُونَ } وملخصه أنه ليس هذا من
الضوائر التي يفسرها ما بعدها فلا يتقدر لا يحسنهم إذ لا يجوز طنه زيد قائماً على تقدير
رفع زيد بظنه . .

{ وَ مَأْوََاهُمُْ الذَّارُ } قال الزمخشري : عطف على { لَا تَحْسَبِينَ } كأنه قيل الذين كفروا لا يفوتون □ { وَ مَأْوََاهُمُْ الذَّارُ } والمراد بهم المقسمون جهد أيمانهم انتهى . وقال صاحب النظام لا يحتمل أن يكون { وَ مَأْوََاهُمُْ } متصلاً بقوله { لَا تَحْسَبِينَ } الذَّارِينَ كَفَرُوا وَمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ { بل هم مقهورون } وَ مَأْوََاهُمُْ الذَّارُ } انتهى . واستبعد العطف من حيث إن { لَا تَحْسَبِينَ } نهي { وَ مَأْوََاهُمُْ الذَّارُ } جملة خبرية فلم يناسب عنده أن يعطف الجملة الخبرية على جملة النهي لتباينهما وهذا مذهب قوم . ولما أحسن الزمخشري بهذا قال : كأنه قيل الذين كفروا لا يفوتون □ فتأول جملة النهي بجملة خبرية حتى تقع المناسبة ، والصحيح أن ذلك لا يشترط بل يجوز عطف الجمل على اختلافها بعضاً على بعض وإن لم تتحد في النوعية وهو مذهب سيبويه . . .

2 ({ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِّنَ الظَّهْرِ وَحِينَ تَعُدُّ صَلَاةَ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * لَيْسَ عَلَيْكَ عَمَلٌ حَرَجٌ وَلَا عَلَيْكَ الْآيَاتِ حَرَجٌ وَلَا عَلَيْكَ حَرَجٌ وَلَا أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْهُنَّ مَسَافِاتِحُهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةٌ طَائِفَةٌ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ }) 2 .

روي أن عمر بعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم (غلاماً من الأنصار يقال له مدلج ،
وكان نائماً فدق عليه الباب ودخل ، فاستيقظ وجلس فانكشف منه شيء فقال عمر : وددت أن
الله نهى أبناءنا ونساءنا عن